التفاوت الطبقي الذي يتفاقم سنة بعد سنة . وبينما الاغنياء يزدادون ثراء في مجتمع قيل عنه في السابق انه اشتراكي ، يظل المستوى المعيشي لنسبة كبيرة من الاسرائيليين منخفضا ، والشقة بين الغني والفقير تزداد اتساعا بمرور الزمن بدلا من ان تضيق . وطبعا ما زال الشرقيون يعانون من التمييز العنصري في المساكن والوظائف والتعليم .

ثم هناك عملية « التأمرك » المستمرة في البلاد . فالجرائم اصبحت كثيرة والفساد منتشر في الجهاز الحكومي ، وموشي ديان يتاجر بالتحف الاثرية . ويمكن القول ان اغلب الامراض التي يعاني منها المجتمع الامريكي قد اصيب بها المجتمع الاسرائيلي ايضا . ويحصي سيغال مساوىء مجتمع الاستهلاك الاسرائيلي او ميني اميركا (كما يسمي اسرائيل) فاذا هي : التفاوت الطبقي ــ التفرقة العنصرية ــ الجرائم ــ الفساد في الدوائر الحكومية ــ غطرسة القوة ــ تلويث البيئة ــ الصراع بين الاجيال ــ المراوغة في دفع الضرائب ــ التكالب على اقتناء الكماليات ــ خرق المواطنين للانظمة الخ .. حتى حوادث المرور اصبحت كثرتها لا تطاق . فخلال عشرين سنة قتل حوالي عشرين الف اسرائيلي على الطرق .

ان اسرائيل هي أساسا دولة محافظة ، يقول سيغال ، دولة مصابة بهاجس اسمه الحدود وبعقدة الغيتو . وفي خاتمة القائمة الطويلة الشاملة التي استعرض فيها مساوىء اسرائيل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، يطرح المؤلف سؤاله الاكبر : ماذا حدث لمثالية التجربة اليهودية ؟

في الجواب على هذا السؤال يكمن بيت القصيد في الكتاب . فبقدر ما يتعلق الامر بسيغال ، المشكلة الأساسية الكامنة وراء كل ما هو سلبي في اسرائيل ليس مبعثها الكيان المصطنع لهذه الدولة ، ولا الظروف الشاذة التي تحيط باستمراريتها ، وانما المشكلة تقع في تخلي اسرائيليي اليوم عن مثالية الصهيونيين الرواد ! فبالنسبة اليه ، لا تقل القومية الاسرائيلية شرعية عن القومية المصرية او الاسرائيلية ، كما انه يفخر بأن الاسرائيلي قد اصبح رمزا عالميا في الشجاعة [ليتذكر القارىء ان هذا الكتاب ظهر قبل حرب رمضان] وكأن الشجاعة تضفي الشرعية على الاغتصاب . ان الصفحات الوحيدة التي يفقد فيها سيغال نبرة الباحث الرصين هي تلك التي يكرسها للتغني « بالتجربة الاسرائيلية العظيمة » . هنا يختفي التحليل الدقيق ليحل مكانه المديح السافر للدولة الصهيونية ، ومع ان القارىء غير العربي سيتذكر نقاط الضعف في الكيان الاسرائيلي كما بينها سيغال ، الا انه قد يحتفظ في ذاكرته بنقاط اخرى لا تقل عن ذلك اهمية . اذ قد يتفق مع المؤلف في ان الصراع بين العرب واسرائيل هو صراع بين التخلف والتقدم ، وان فشل العرب في دحر اسرائيل سيؤدي الى حدوث تغيير في مجتمعهم . وقد يؤمن مع سيغال بأن هذا التغيير سيؤدي في نهاية المطاف الى انهاء الصراع بين الطرفين .

هذه كلها احتمالات واردة باعتبار ان سيغال الصهيوني اسبغ على كتابه عشرة من الموضوعية قد تنطلي على القارىء غير العربي . فتحليله الدقيق للاوضاع داخل اسرائيل والاقطار العربية المحيطة بها هو عموما سليم ، الا ان استنتاجاته مغلوطة لانها تنطلق من قاعدة زائفة . ان سيغال ينعي على اسرائيل تأمركها ، ويأخذ عليها تصلبها تجاه العرب ، وكأن الصراع المرير الذي دام اكثر من نصف قرن بين الصهيونية والعرب سينتهي حال تخلي اسرائيل عن تأمركها وتصلبها وعودتها الى مثالية هيرتزل ! نعم .. **مثالية هيرتزل** .

ان « لمن القدس ؟ » هو كتاب ذكي يقدم الدعاية للفكرة الصهيونية داخل غلاف من النقد للطريقة التي يتم بها تطبيق هذه الفكرة حاليا . الا انه على كل حال يحتوي على معلومات تهم كل من يريد الاطلاع على اوضاع اسرائيل الداخلية في فترة ما بين الحربين : حرب حزيران وحرب رمضان .

---

* ولد رونالد سيغال في جنوب افريقيا عام ١٩٣٢ ونشأ فيها . وقد أدت معارضته للحكم العنصري القائم في تلك البلاد الى سحب جوازه ، فانتقل الى لندن حيث أخذ يؤلف الكتب السياسية ، فكتب عن افريقيا والهند واميركا . وهو حاليا يحاضر في جامعة بكاليفورنيا . ويذكر ناشر الكتاب ان « لمن القدس ؟ » جاء حصيلة عامين من البحث ، وثلاث زيارات منفصلة للمنطقة شملت كل من مصر والاردن ولبنان واسرائيل .

فـ. المنصور